واقع البحث الأسلوبي العربي وممارساته بين عاملي المثاقفة والترجمة.

د.بوبكر الصديق صابري جامعة محمد البشير الإبراهيمي– برج بوعريريج
جمال بسعودي طالب دكتوراه جامعة محمد البشير الإبراهيمي– برج بوعريريج

الملخص:

لقد كانت المناهج النقديّة الغربيّة مرجعا ومتكأ للمناهج النقديّة العربيّة استمدت منها نظريات عدّة في تحليل النّصوص للوقوف على الدّلالة وكان للحوار الثّقافي والتّرجمة دور محوريّ في نقل هذه المناهج من بيئتها الغربيّة إلى البيئة العربيّة، وقد نقل لنا النّقاد العرب معالم هذه المناهج الحداثيّة عبر نصوص أعلامها وكتاباتهم في معالجة الظاهرة الأدبية ومدارستها، منها " التحليل الأسلوبي" الذي يدرس خصوصيات النّص الأدبي ومميزاته وتشكيلاته الفنية اعتمادا على النّص في ذاته خلافا لبعض المناهج الأخرى. فما هو واقع الأسلوبيّة في الدّراسات العربيّة؟ وماهي تجليات المثاقفة والترجمة في ممارستها؟ هذا السؤال المحوري الذي سنحاول الإجابة عنه من خلال هذه الورقة البحثيّة بالتعرّض لما نقله بعض أعلام الأسلوبيّة العرب من مفاهيم منهجيّة عن الأسلوبيّة إلى البيئة العربيّة وسنخص بالذّكر عبد السلام المسدي، وسعد مصلوح، وحميد لحميداني، والأكاديميين الجزائريين يوسف وغليسي، وعلي ملاّحي لنتعرف على جهودهم في نقل معالم المنهج الأسلوبي عبر المثاقفة والترجمة.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب– الأسلوبية– الانزياح– الاختيار– الترجمة– المثاقفة

Abstract:

The Western critical approaches were a reference and basis for the Arab critical approaches from which many theories were derived in analyzing the texts to determine significance. Cultural dialogue and translation had a pivotal role in transferring these approaches from their Western environment to the Arab environment, and Arab critics have conveyed to us the features of these modernist approaches through the texts of famous figures and their writings when dealing with the literary

phenomenon and its study, including "stylistic analysis", which studies the peculiarities of the literary text, its features and the artistic formations based on the text itself, unlike some other approaches. Therefore, what is the reality of stylistics and its practices in Arab studies? Through this research paper, we will try to expose the methodological concepts that some Arab scholars conveyed about stylistics to the Arab environment. We will focus, in particular, on Abd al-Salam al-Masdi, Saad Maslouh, Hamid Lahmidani, and the two Algerian academics Yousef Ouaghlissi, and Ali Mallahi to get acquainted with their efforts in transferring the features of the stylistic approach through acculturation and translation.

***Keywords**: style-stylistics-shift-selection-translation- acculturation*

مقدمـــة:

تُعدّ الثّورة التي أحدثها العالم اللّغوي فيرديناند دي سوسير في ميدان البحث اللغّوي، أخصب بيئة أتاحت الفرصة أمام العلماء للاستثمار في مجال الدّراسات اللّغوية، وفتحت لهم منافذَ عديدة أطلُّوا من خلالها على معالم وقوانين جديدة تحكم الظاهرة الاجتماعيّة، وصارت الظّاهرة اللّغوية تُدرس دراسة علميّة وموضوعيّة بغض النّظر عن كلّ الاعتبارات التي لا تدخل في صلب اهتمام الدّرس اللّساني، فوُضعت القوانين والنّظريات والمناهج للاطّلاع على أسرار الظّاهرة الاجتماعيّة والتعرّف عليها بالتّحليل والدّراسة.

فالثّقافة اللّغوية التي كانت سائدة قبل نشر كتاب دي سوسير (1857–1913) سنة 1916، لم تكن تتجاوز دراسة اللّغة في شكلها الخارجي، فكانت دراسة تاريخيّة مقارنة لم تخترق النّظام اللّغوي الدّاخلي، إلى أن ظهرت أفكار دي سوسير (Ferdinand de Saussure) بظهور كتابه "دروس في اللسانيات العامة" عام 1916 ، عن طريق تلامذته كل من شارل بالي (Charles Bally) وألبيرت سيشهاي (Albert Sechehaye).

وعلم الأسلوب الذي ظهر على أيدي شارل بالي، الذي أرسى قواعده أصبح منهجا قائما من أبرز المناهج اللّسانية حيث تقوم الأسلوبيّة بدراسة أسلوب الأديب من خلال دراسة العناصر التي يستعملها لتحقيق التفرّد عن طريق الإختيار الواعي لوسائل التعبير

التي تميّزه، لتكشف الأسلوبية عن منابع التأثير والتميّز بطريقة علميّة بعيدا عن الأحكام الذاتيّة.

مفهوم الأسلوب والأسلوبية :

1- الأسلوب عند العرب:

لغــة: جاء في لسان العرب لابن منظور:" ويقال للسّطر من النّخيل أسلوب، وكلّ طريق ممتد فهو أسلوب والأسلوب الطريق والوجه والمذهب ... ويجمع أساليب والأسلوب الطريق تأخذ فيه والأسلوب بالضم الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي في أفانينه"[1]

أما جار الله الزّمخشري في " أساس البلاغة " في مادة " سَلَبَ" : وسلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب حسنة [2]

أما الأسلوب (style) عند الغربيين يعود إلى الكلمة اللّاتينية (stilus) والتي تعني: (الإزميل) أو(المنقاش) للحفر والكتابة، وقد كان اللّاتين يستعملونها مجازا للدّلالة على شكلية الحفر أو شكلية الكتابة[3].

الأسلوب اصطلاحا:

ارتبط مفهوم الأسلوب عند نقاد العرب القدامى بالبلاغة، وقدّموا بعض الإشارات التي تخص الأسلوبيّة ومنهم ابن قتيبة الذي اهتم بالدّراسات القرآنية "وإنّما يعرف فضل القرآن الكريم من كَثُر نظره، واتّسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللّغات "[4]

كما تحدث عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" عن النّظم ودوره في حدوث المعنى باعتبار أنّ الألفاظ متوفرة والذي يغيّر المعنى هو نظم الألفاظ وترتيبها على الوجه الذّي يقتضيه علم النحو " وأمّا نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنّك تقتفي في

(1)ابن منظو: لسان العرب، مادة(سَلَبَ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ج ، ط3، 2004، ص255

(2) الزمخشري: أساس البلاغة، مادة (سَلَبَ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص452

(3) صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998 ، ص 93

(4) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن الكريم، دار التراث، القاهرة، مثر، ط2، 1973، ص12

نظمِها آثار المعاني، وتُرتِّبها على حسب ترتيب المعاني في النّفس "[5].وبهذا فعبد القاهر دعا إلى طلب المعنى لا إلى طلب اللّفظ، فالأسلوب عنده "ينصُبُّ على الطّريقة الخاصة في ترتيب المعاني، وما تحويه هذه الطّريقة من إمكانيات نحويّة، تميّز ضربا عن ضرب، وأسلوبا عن أسلوب"[6]

الأسلوبية فرع من اللسانيات:

فرّق دي سوسير بين ثلاثة عناصر: اللّغة، واللّسان، والكلام، حيث تعبّر اللّغة عن الملكة الإنسانيّة التي تتجلّى في تلك القدرات الفطريّة التي يمتلكها الإنسان دون سواه، أمّا اللّسان فهو النّظام التّواصلي الذي يمتلكه كلُّ فرد متكلّم – مستمع ينتمي إلى مجتمع لغوي متجانس، أمَّا الكلام، فهو الإنجاز الفردي للّسان وهو خاضع لعدّة عوامل تجعله يختلف من فرد لآخر ويقوم على محورين:

1- المحور الاستبدالي(L'axe Paradigmatiques) الذي يتكوّن من عنصرين لسانيين فأكثر، وأن القيمة الدّلالية للعنصر اللّساني تتحدّد بالمقابلة بين العناصر اللّسانية التي تسبقه أو تلحقه أو بهما معا.

2- المحور الرّكني(L'axe Syntagmatiques) فالكلمات بمعزل عن الإنجاز الفعلي هي في علاقة قائمة على التشابه من حيث تركيب وحداتها في الذاكرة[7].

مفهوم الأسلوب حديثا عند الغرب:

ظهر مصطلح الأسلوب في بداية القرن 19 في معجم (Grim) في النّقد الأدبي الألماني وفي المعاجم الأنجليزية كمصطلح عام 1846، وفي الفرنسية عام 1872[8]، كما ترجع الدراسات الحديثة في تعريفها للأسلوب إلى المقولة الشّهيرة الخاصة باللّغوي الفرنسي بوفون (Buffon) :" الأسلوب هو الرّجل" ، ومن تعريفات الأسلوب عند اللّغويين الغربيين نذكر تعريف بيير جيرو (Pierre Garou) : " الأسلوب طريقة للتّعبير عن

(5)عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: سعد كريم الفقي، دار اليقين، مصر، 2001، ص49

(6) محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية ، ص26

(7) أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2014، ص09

(8)صلاح فضل: علم الأسلوب ، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998 ، ص 108

الفكر بواسطة اللّغة "[9]، وعرّفه كذلك:" هو وجه للملفوظ ينتج عن اختيار أدوات التّعبير وتحدّده طبيعة المتكلّم ومقاصده"[10]

ويرى بيفون(Buffon):" إنّ من الهين أن تُنتزع المعارف والأحداث والمكتشفات أو أن تُبدّل، بل كثيرا ما تترقّى إذا ما عالجها من هو أكثر مهارة من صاحبها، كل تلك الأشياء هي خارجة عن ذات الإنسان، أما الأسلوب هو الإنسان عينه لذلك تعذّر انتزاعه أو تحويله أو سلخه "[11].

فما يمكن أن نخلص إليه من خلال ما تقدّم أنّ الأسلوب يرتبط بطريقة تعبير كلّ متكلّم عن فكره ومقاصده من خلال الصّياغة التي هي ركيزة العمل الأسلوبي.

مفهوم الأسلوب حديثا عند العرب:

يعرف أحمد الشايب الأسلوب أنّه:" طريقة التّفكير والتصوير والبحث والتعبير"[12]، كما أورد تعريفا آخر:" لكلّ أسلوب صورة خاصّة بصاحبه تبيّن طريقة تفكيره وكيفية نظره للأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته، فالذّاتية هي أساس تكوين الأسلوب"[13]، من خلال هذين التعريفين يتبيّن أن أحمد الشايب لم يخرج عن تعريف الغربيين للأسلوب ومنهم تعريف الفرنسي بوفون الذي يعتبر أنّ الأسلوب هو الرّجل، كما رَبط بين ما أصّله القدماء من دراسات بلاغيّة، حيث ربط الأسلوب بالنّظم :" الأسلوب الأدبي هو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو الضّرب من النّظم والطريق فيه "[14].

---

(9)بييرجيرو:الأسلوبية، تر: منذر عيّاشي، دار الحاسوب، حلب، ط2، 1994، ص10

(10) بيير جيرو: المرجع نفسه، ص 139

(11)عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد، ط5، 2006 ، ص28

(12) أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتب النهضة المصرية، مصر، ط8، 1991، ص45

(13) أحمد الشايب : المرجع نفسه، ص 134

(14) أحمد الشايب: المرجع نفسه، ص 44

أمّا عبد السلام المسدّي، فيعرّف الأسلوب بأنّه:" قِوام الكشف عن نمط التّفكير عند صاحبه وتتطابق في هذا المنظور ماهية الأسلوب مع نوعية الرّسالة الألسنية المبلَّغة مادة وشكلا"[15]، فهو يركز في هذا التعريف على المخاطِب والخِطاب والمخاطَب.

وقد حدّد النقّاد مميزات الأسلوب وتفرّده عن غيره من طرائق التبليغ الأخرى بناء على ثلاثة منطلقات :

1- **الاختيار**: حيث يتمّ اختيار الألفاظ المناسبة واستدعائها من محور الاستبدال دون غيرها المتوفرة في ذهن المخاطِب.

2- **التركيب (التأليف)**: وهو نظم الكلمات المنتقاة من محور الاستبدال على محور التّركيب في طريقة فنيّة تجعل التركيب أو النّص متفرّد .

4- **الانزياح**: ويقصد به خروج التّعبير عن ذلك التّعبير العادي واستخدام ومنح الألفاظ وظائف جديدة لم تكن معهودة؛كأن تُمنح دلائل الحياة للجمادات فيحدث الغموض والإبهام والمتعة وتكون التراكيب أشبه بنفحة الزّهر التي يُتمتع بها ولا يُقبض عليها.

ويرى الدّارسون أنّ الأسلوب يُنظر إليه من ثلاث زوايا : فإذا نظرنا إليه بالاعتماد على المخاطِب؛ فإنّه على حدّ تعبير بوفون يرتبط بصاحبه كأنّه إمضاؤه أو ختمه الخاص، أمّا إذا نظرنا إليه بالاعتماد على المخاطَب فهو بمثابة المطاردة التي يقوم بها المتلقّي للقبض على المعنى المتخَفّي وراء السُّطور، وأمّا إذا نظرنا إليه بالاعتماد على الخطاب فهو أساس عمل المخاطِب ومجهود المخاطَب يتجلّى في النّص ذاته ولأجل ذاته.

مفهوم الأسلوبية:

يرى الباحثون الغربيون أنّ الميلاد الحقيقي للأسلوبيّة يعود إلى بدايات القرن العشرين، مع تلميذ دي سوسير ومواطنه السويسري شارل بالي الذي أسس هذا العلم في كتابه الرائد "مبحث في الأسلوبية الفرنسية" (Traité De Stylistique Francaise)

(15) عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، ص 64

سنة 1909 تحديدا، وابتداء من هذا التاريخ بدأ الاهتمام بالدّراسات الأسلوبيّة يتزايد شيئا فشيئا مهتديا بالمعطيات العلميّة الألسنيّة [16]

ويعرف جاكبسون (Jakobson) الأسلوبيّة بأنّها:" بحث عما تميّز به الكلام الفنّي عن بقيّة مستويات الخطاب الأدبي أولا وعن سائر أصناف الفنون الإنسانيّة ثانيا"[17] ، فالأسلوبيّة هي بحث في الأسلوب الأدبي في حدّ ذاته للكشف عن تلك الوسائل التعبيريّة التي جعلته متميّزا عن باقي الفنون الأخرى.

أما ميشال ريفاتير (Riffaterre) فيعرّف الأسلوبيّة بأنّها:" علم يُعنى بدراسة الآثار الأدبية دراسة موضوعيّة وهي لذلك تُعنى بالبحث عن الأسس القارّة في إرساء علم الأسلوب، وهي تنطلق من اعتبار الأثر الأدبي بنية تتحاور مع السّياق المضموني تحاورا خاصا"[18]، وهذا يُحيل إلى أساس المدرسة البنوية التي أرسى دعائمها دي سوسير التي تُعنى بدراسة اللّغة دراسة علميّة موضوعيّة بغضّ النّظر عن كلّ الاعتبارات الأخرى.

الأسلوبية في الخطاب النقدي العربي:

وكيفما كان الحال، فإنّ انتقال الأسلوبيّة إلى النّقد العربي قد تأخّر إلى سنوات السبعينيّات من القرن الماضي(إذا قفزنا على أعمال متقدمة نسبيا، لكنها لا تعدو أن تكون بلاغة متجددة..) بفعل جهود مشتركة أسهم فيها كل من عبد السلام المسدّي وشكري عياد وجوزيف ميشال شريم وعدنان بن ذريل ... وبعض الأسماء الجزائريّة الصاعدة يتصدّرها نور الدّين السدّ الذي خصّ الأسلوبية بأطروحة عملية ضخمة وعبد الحميد بوزوينة وعلي ملاحي ورابح بوحوش...[19]

أولا:- عبد السلام المسدّي:

---

(16)ينظر :يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور، الجزائر، ط1، 2007، ص76

(17) عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص 37

(18) بدري الحربي فرحان: المرجع نفسه ، ص 15

(19) يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر، الجزائر، ط1، 2007، ص82

يعتبر المسدّي من أوائل الدّارسين العرب المهتمين بالأسلوبيّة الحديثة، ويُعدّ كتابه " **الأسلوبيّة والأسلوب**" نحو بديل ألسني في نقد الأدب المنشور سنة 1977 رائدا وسبّاقا في هذا المجال، وقد استطاع المسّدي في هذا الكتاب أن ينقل هذا العلم إلى اللّغة العربيّة، وأنّ يضع أهم مصطلحاته باللّغة العربيّة وأن يربطه بالتّراث[20]، حيث لا نكاد نجد كتابا من كتب الأسلوبيّة عند العرب المحدثين يخلو من اقتباسات كتاب الأسلوبيّة والأسلوب .

يرى عبد السلام المسدّي في كتابه "**لأسلوبية والأسلوب**" وتحديدا في مقدمة طبعته الثانية الأسلوبية العربية بين المكتسب والمنشود، أنّ هذا العلم يرتبط باللّسانيات حيث يقول:" فمن حقائق المعرفة أن الأسلوبيّة ترتبط باللّسانيات ارتباط النّاشئ بعلّة نشوئه، فلقد تفاعل علم اللّسان مع مناهج النّقد الأدبي الحديث حتّى أخصبه فأرسى معه قواعد علم الأسلوب "[21].

المصطلحات الأسلوبيّة عند المسدّي:

لقد حدّد المسدّي بعض مصطلحات الحقل الأسلوبي التي كان سبّاقا إليها عن طريق الترجمة والمثاقفة ومن هذه المصطلحات نذكر:

1- الأسلوبيّة :

يرى المسدّي أن المصطلح الذي استقرّ بالعربيّة يعود إلى الدّال (stylistique) " وقفنا على دال مركب جذره أسلوب (style) ولاحقته: ـيّـة(ique) ...فالأسلوب ذو مدلول إنساني ذاتي، وبالتّالي نسبيّ واللّاحقة تختصّ بالبُعد العلماني العقلي، وبالتّالي الموضوعي.. لذلك تعرّف الأسلوبيّة بداهة بالبحث عن الأسس الموضوعيّة لإرساء علم الأسلوب "[22]، فمصطلح الأسلوبيّة هو وليد الثّقافة الغربيّة ونُقل إلى العربيّة عن طريق التّرجمة عبر الجذر اللّغوي أسلوب مع إضافة اللّاحقة الدّالة على العلميّة (يّـة) .

---

(20)أحمد الهادي رشراش : جهود المسدي في حقل الأسلوبية ، مقال على الموقع: (http://www.arabiclanguageic.org)

(21) عبد السلام المسدّي: الأسلوبية والأسلوب، ص5

(22) عبد السلام المسدي: م ن، ص 84

ويرى أنّ الباعث الأول لهذا العلم هو شارل بالي :" ذلك أن مجال الأسلوبيّة اليوم ما إن يقارن بالحقل الّذي حدّده باعثها الأول بالي ...فيرى للخطاب نوعين: ماهو حامل لذاته غير مشحون البتّة وما هو حامل للعواطف والخلجات وكل الإنفعالات "[23]، فبعد أن كانت الأسلوبيّة تهتمّ بالخطاب بأنواعه، أصبحت تهتمّ بالخطاب الفنّي بتتبُّعها لبصمات الشَّحن في الخطاب كما يسمّيه جورج مونان "**بالتّشويه**" الذي يصيب الكلام، كما يتضّح أنّ المسدّي وبتماشيه مع الواقع اللّساني ربط الأسلوبيّة بالبلاغة العربيّة واعتبرها الوريث الشّرعي لها.

وقد بيّن المسدّي نظرة الأسلوبيين إلى الأسلوب من خلال المخاطِب والخطاب والمخاطَب:

فمن حيث الاعتبار الأوّل (المخاطِب)، يقتبس من كتابات علماء الأسلوب "يقول دي لوفر إنّ الأسلوب الفردي حقيقة بما أنّه يتسنّى لمن كان له بعض الخبرة أن يميّز بين عشرين بيتا من الشِّعر إن كانت لراسين أم لكرناي وأن يميّز صفحة من النّثر إن كانت لبلزاك أم لستندال"[24]، وكذلك مقولة بيفون الشّهيرة:" أمّا الأسلوب فهو الإنسان عينه".

أمّا من حيث اعتبار المخاطَب يستدّل المسدّي بعدّة كتابات منها ما أورده ريفاتير "حين يحدّد الأسلوب اعتمادا على أثر الكلام في المتسقبِل فيعرّفه بأنّه إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام وحَمْلُ القارىء على الانتباه إليها بحيث إذا غفل عنها شوّه النصّ وإذا حلّلها وجد لها دلالات تمييزيّة خاصّة، ممّا يسمح بتقرير أنّ الكلام يُعبِّر والأسلوب يُبْرِزُ "[25].

أمّا من حيث اعتبار الخطاب فيوضّح المسدّي ذلك بقوله:" أمّا تحديد ماهية الأسلوب باعتماد جوهر الخطاب في ذاته فلعلّه الرّكن الضّارب في مَجْمَع رُؤى الحداثة لما يتجذّرُ فيه من ركائز المنظور اللّساني، فإذا كان الأسلوب في فرضيّة المخاطِب صحيفة الانعكاس لأشعّة الباث فكرا وشخصيّة، وكان في فرضيّة المخاطَب رسالة مغلقة

(23) عبد السلام المسدي: م ن، ص 40

(24) عبد السلام المسدي: م ن ، ص60

(25) عبد السلام المسدي: م ن، ص 83

على نفسها لا تفُضُّ جدارها إلّا يدا من أرسلت إليه، فإنّه في فرضيّة الخطاب موجود في ذاته"[26]

ويعتبِر المسدّي أنّ الأسلوبيّة إذا هي أداة من أدوات التحليل والقراءة للخطاب الأدبي لفكّ شفراته واختراق حواجزه وإزالة تلك الصّور والنّقوش التي طُليت على جدرانه البلّوري للعبور إلى المعنى والقبض على الدّلالة من خلال البثّ الأدبي باعتباره ظاهرة تُحسُّ وتُدركُ جماليتها من خلال تشريح مادّتها والغوص في أبعادها اللّغوية.

وقد ضمّن المسدّي كتابه بملاحق تتضمّن أهم المصطلحات الأسلوبيّة الفرنسيّة وما يقابلها بالعربيّة، مع تحديد مفاهيم هذه المصطلحات وعن أهمّ المراجع التي اتّكأ عليها المسدّي في نقل هذا العلم إلى العربيّة نجده أخذ خاصة عن كل من: – شارل بالي وترجم عن كتابه (Traité de stylistique française)

– بيير جييرو وترجم عن كتابه (La stylistique).

– ميشال ريفاتير في كتابه (Essais de stylistique structurale).

– جورج مونان في كتابه (Clefs pour la Linguistique Traité de stylistique française) .

– دي لوفر في كتابه (stylistique en poétique française).

وقد كان تأثير كتاب الأسلوبيّة والأسلوب بالغ في الأكاديميين العرب؛ حيث نهلوا منه في التأسيس لأبحاثهم ورؤاهم.

ثانيا: سعد مصلوح:

يرى سعد مصلوح أنّ كتابه" **في النصّ الأدبي دراسة أسلوبية إحصائيّة**" هو إسهام لساني في حلّ أزمة الدّرس الأدبي العربي المعاصر وترسيخ لأساليب المعالجة العلميّة المنضبطة للنصّ الأدبي اعتمادا على طريقة رياضيّة تتمثّل في إحصاء الظّواهر اللّغوية الجديرة بالملاحظة والقياس والتي تتكرّر في النصّ الأدبي ليس بمحض الصدفة وإنّما تكرارها يُنبئ عن أغراض ودلالات مقصودة، مشيرا إلى أنّ "الدّراسات اللّسانية

(26) عبد السلام المسدي: م س، ص 88

الحديثة قامت في الأساس على ما هو عام ومشترك، أما الأسلوبيات فقامت على أساس دراسة التنوعات والفروق"[27]، مشيرا إلى أخذه عن بارث في مؤلَّفِه (Style and its Image , in Literary Style) وتودوروف في دراسة له بعنوان (The place of Style in the Structure of the Text in Literary)، حيث يستعمل مصطلح **المفارقة** أو **الانحراف** في مقابل مصطلحي الانزياح أو العدول لدى المسدّي .

1- **المصطلحات الأسلوبية عند سعد مصلوح:**

1-**1- تعريف الأسلوب:** يلتمس سعد مصلوح تعريفه للأسلوب من تعريفين شهيرين:

أ- الأسلوب هو مفارقة(Departure) أو انحراف (Deviation) عن أنموذج من القول يُنظر إليه على أنّه معيار (Norm) وبالمقارنة بينهما يقع التمييز بين النصّ المفارق والنص النّمط، ويشترط لتمام المقارنة تماثل المقام بينهما 28.

ب- الأسلوب هو اختيار (Choice)أو انتقاء (Selection) يقوم به المنشىء لسمات لغوية معينة من بين قائمة الاحتمالات المتاحة في اللغة[29] فالأمر يقتضي معرفة التعبير المعتاد العادي أوّلا ليكون في الإمكان معرفة التّعبير المعدول إليه، ومعرفة قائمة الاحتمالات على مستوى المحور الاستبدالي والتي تمّ استبعادها من قبل المنشئ بعد إعمال فكره واختيار أحدها دون غيره، والوقوف على طبيعة الاختيار أكان عن قصد أو دون وعي من المنشئ، مشيرا أنه اتكأ في مقولة الاختيار هذه على دراستين غربيتين لكل من : "Louis T. Milk" في :(Rhetorical Choise and Stilistic)

و كذا: "Jane R.Walpole" في: (Style Option callege Composition and communication)

1-**2- المتغير الأسلوبي:** المتغيرات الأسلوبية(Stylistic Variables) هي مجموعة السّمات اللّغوية التي يعمل فيها المنشئ بالاختيار أو الاستبعاد وبالتكثيف أو الخلخلة،

---

(27) ينظر: سعد مصلوح : في النص الأدبي دراسة اسلوبية إحصائية، عين للدراسات والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص18

(28) سعد مصلوح: م ن، ص 22

(29) سعد مصلوح: م س، ص 22

وباتّباع طرق مختلفة في التوزيع ليشكّل بها النصّ، وحينئذ تصبح المتغيرات الأسلوبية خصائص مميزة (Stylistic Features) موائز (Discriminators)[30]، حيث أن المتغيّر الأسلوبي هو مادة متاحة أمام المنشئ وبعد اختيارها ووضعها في التركيب تصبح خاصيّة أسلوبيّة. ويميّز بين عدّة متغيّرات أسلوبيّة وهي:

– **المتغيّرات الشّكليّة:** كاختلاف النّثر عن الشِّعر– طريقة توزيع الأبيات على الصفحة...

– **المتغيرات الصوتية:** أنواع المقاطع– التوزيع النسبي للفونيمات– الوزن العروضي– القافية – الجناس– السجع...

– **المتغيرات الصرفية:** أقسام الكلم من اسم، وفعل،وحرف ، وظرف،ضمير– الصيغ الصرفية...

– **المتغيّرات التركيبيّة:**أنواع الجمل (اسمية، فعلية، بسيطة، مركبة إنشائية، خبرية)– المركبات النحوية (جر، إضافة عطف، بدل)– فنون بلاغية – الصحة النحوية...

– **المتغيّرات الدّلاليّة:** الوحدات المعجميّة– المفردات المهجورة – المفردات الدخيلة – البعد الدلالي– فنون بديعية..

– **متغيّرات ما فوق الجملة:**طول الفقرات وتوزيعها– هرمية البنية المنطقية للنص– انفتاح النص وانغلاقه– الربط بين الجمل– وسائل السبك – الالتفات...

ويورد سعد مصلوح مصطلحين آخرين وهما التّشكيل الأسلوبي (Stylization) و مصطلح التشخيص الأسلوبي (Stylistic Diagnosis)، فالأول يعني به ذلك العمل الذي يقوم به المنشئ من اختيار وتركيب ، أمّا الثاني فهو ذلك النّشاط التحليلي الذي يقوم به الباحث ويتجسّد في الأسلوبيّة.

ثمّ يعرض للمعالجة الأسلوبيّة الإحصائية للنّصوص "التي تعطي مزيدا من البيانات القابلة للتوظيف في مجال الكشف عن أدقّ خواص النصّ على المستويات التحليلية المختلفة كافة، ليست الغاية إذن هي الحصول على أرقام مطلقة عارية من

(30) سعد مصلوح: م ن ، ص 27

الدّلالة، ولكنّها الوصول إلى الأرقام والبيانات النسبيّة القادرة على إنتاج مقارنات دالة"[31]، فبعد الإحصاء واستخراج نسبة شيوع المتغيّرات الأسلوبيّة، يلجأ المحلّل الأسلوبي إلى فحص تلك المتغيّرات أو العيّنات لاستجلاء الدلالة؛ حيث تقوم الدراسة الإحصائية على منهج رياضي بأخذ العينات محلّ الدّراسة والقيام بقياس تنوع المفردات، حيث يطلق على الكلمات المتنوعة مصطلح الأنماط (Types)، وعلى المجموع الكلي للكلمات مصطلح التحقُّقات(Tokens)، (حيث أخذ هذه الدراسة والمصطلحات وفق ما اقترحه و.جونسون(W.Johnson) في مؤلفه:Language and Speech Hygiene) ، حيث يتم إيجاد نسبة التنوع بقسمة مجموع الكلمات المتنوعة على مجموع التحقُّقات، بعد إعداد جدول مكون من عشرة أسطر وعشرة أعمدة يتم فيه كتابة جميع مفردات الفقرة المدروسة، ثم نقوم بشطب كل مفردة تكرَّرت، لإيجاد نسبة التنوُّع لمعرفة نسبة الثروة اللفظية في أسلوب الكاتب أو الشاعر .

ثالثا: يوسف وغليسي:

يرى يوسف وغليسي في كتابه "**مناهج النقد الأدبي الحديث**" أنّ الدّلالة الاصطلاحية للأسلوب تستقرُّ في الكتابة على كيفية الكتابة، وأن الميلاد الحقيقي للأسلوبيّة كان على أيدي شارل بالي الذي أسسَّ هذا العلم في كتابه Traité de Stylistique française)، كما يتتبَّع في كتابه كيفية نشأة الأسلوبيَّة على أنقاض العصر البلاغي المترهّل وما واجهته من حظر وإعلان بالإعدام من قبل نفر من الباحثين ووقوف البعض الآخر من الباحثين موقف المدافع عن هذا العلم كما فعل جورج مولينيه (G.Molinié) ويستشهد يوسف وغليسي بما سطره عبد السلام المسدي في كتابه الأسلوبية والأسلوب وكيف وضعت الأسلوبيّة في عدّة اختصاصات ويقتبس من كتاب المسدي في آليات النقد الأدبي الذي حذّر فيه من ضياع الهوية العلمية للأسلوبية في علوم محاذية كالبلاغة .

كما يُقرّ يوسف وغليسي بفضل عبد السلام المسدي على الباحثين العرب في إشاعة هذا العلم ونقله من الثقافة الغربية إلى نظيرتها العربية بفضل المثاقفة والترجمة

(31) سعد مصلوح: م س، ص 38

حيث يقول:" وقد نعثر على معادل عربي لهذا التشخيص والتحذير لدى القطب الأكبر للأسلوبية العربية (الدكتور عبد السلام المسدي) الذي حذّر بلغة العالم الغيور، من ضياع الهوية العلمية للأسلوبيّة في مغبّة المعارف المحاذية"[32]، وهذا اعتراف صريح من أهل الأسلوبية على أهلها وينتصر يوسف وغليسي إلى ترجمة مصطلح العلم (الأسلوبية) الذي وضعه المسدي على باقي الترجمات التي أوردها بعض الباحثين العرب في مختلف الأقطار.

رابعا: حميد لحميداني:

يطرح حميد لحميداني في كتابه "**أسلوبية الرّواية**" تساؤلا حول عدم قيام بلاغة أو أسلوبية خاصة بالرّواية في العالم العربي رغم أنّ الدّراسات الغربيّة الحديثة لامست هذا الموضوع، حيث يورد في مقدمة كتابه " ومن المفارقات المثيرة للانتباه أنّ كثيرا ممن مارسوا النّقد القصصي والرّوائي في العالم العربي إلى منتصف هذا القرن كانوا يدرسون الرّواية بالمقاييس البلاغيّة المأثورة ..واعتمدت بشكل جوهري على رصد الظّواهر الجمالية الجزئية. ولقد كان من الطبيعي أن تُخيّب الرواية كل آمالها المعقودة على هذا الفن الجديد"[33]، حيث كان يُنظر إلى لغة الرّواية أنها لا تحمل نفس تألّق العبارة وإشراقها في لغة الشِّعر والرّسائل الفنيّة، ويطرح التساؤل حول النّقاد البلاغيين هل كان عليهم أن يطلبوا من الرّوائيين أن يرتقوا بأساليبهم إلى نفس مستوى اللّغة الشّعرية أم كان عليهم أن يبحثوا عن آليات جيدة تمكنهم من دراسة هذا الفن الجديد بالاعتماد على غير النّقد البلاغي بالاتّكاء على الدّرس اللّغوي الذي تطور عند الغرب وواكب الرّواية المعاصرة " لذلك فالتفكير في وضع بلاغة للرّواية في العالم العربي أو غير العربي مدين بالشيء الكثير للأبحاث الأسلوبيّة التي تطورت للأسف في الخارج"[34] ويُقرّ لحميداني أن كتابه "**أسلوبية الرواية**" لا يرتمي ارتماء كاملا في أحضان النظريّة الغربيّة، وحاول أنْ يؤطر

(32) يوسف وغليسي : مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر، الجزائر، ط1، 2007 ، ص80

(33) حميد لحميداني: أسلوبية الرواية(مدخل نظري)، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989 ، ص5

(34) حميد لحميداني: م س، ص 6

لدراسة جديدة لأجل قيام أسلوبية جديدة لدراسة الفن الرّوائي ورصد الفروق الجوهرية بين أسلوب الشِّعر وأسلوب الرّواية، وقد اتكأ في عمله هذا على ما وجده في بعض الدراسات الغربيّة أهمها مؤلفات ميخائيل باختين ضمن مؤلفه جمالية ونظرية الرواية[35] ، ودراسة لناقد روسي آخر بعنوان " الأفكار والأسلوب ، في دراسة الفن الرّوائي ولغته"[36]

رابعا: علي ملاحــي:

الأكاديمي الجزائري علي ملاّحي في كتابه "**المجرى الأسلوبي للمدلول الشعري العربي المعاصر**"، الذي يحمل رؤية نقدية وقراءات لمجموعة من الدّراسات النّقدية الفاعلة في الفضاء الثّقافي العربي، مع قراءات لجملة من النّماذج الشِّعرية العربيّة الجديدة، وقراءات لنماذج شعريّة للخطاب الشِّعري العربي التّقليدي بما تضمنه من تقاليد أسلوبية، لم يُخفِ تقديره للجهود النّقديّة المعاصرة التي قدّمها الباحثون عبر مساحة النّقد الشِّعري في الوطن العربي ؛ ويوضّح أن كتابه يعدّ "رؤية أسلوبية طموحة نسعى من خلالها تقديم ما يمكن تقديمه من مبررات نقدية من شأنها أن تؤطِّر الخصوصيات الأسلوبيّة الكبرى التي تتميّز بها الدّلالة الشِّعرية العربيّة الجديدة والتي تشكل آلياتها وأدواتها وتحقِّقُ كيانها"[37].ويَعتبِر أنّ النّصّ الأدبي شعرا كان أم قصّة أم رواية بِنية مكتفية بذاتها، ترفض أسباب الوساطة أثناء عملية التواصل بين الملفوظ والمستقبل حسب ما أورده جاكبسون في كتابه (Essais de linguistique général) لأنّ المفهوم النّقدي المعاصر يقتضي تجاوز مبدأ خارج النص والاكتفاء بداخله والدّخول في عملية استقصاء قصوى لحركية الخطاب وآلياته وانتظامه، بناء على ما فيه من عناصر إشارية متجانسة فيما بينها.

ومصطلح الانزياح (L'ecart) يهمّشُ له الباحث بأنه "مصطلح يربطه عبد السلام المسدي بعبارة التّجاوز أو العدول في المفهوم البلاغي العربي وهو من الناحية

(35)Mikhail Bakhtine : Esthétique et théorie du roman Galimard

(36)حميد لحميداني : م س، ص 20

(37)علي ملاحي: المجرى الأسلوبي للمدلول الشعري العربي المعاصر، أبحاث للنشر، الجزائر، ط1، 2007، ص 7

العلميّة كلّ تصرّف في استعمال اللّغة في هياكل دلالاتها أو أشكال تراكيبها بما يخرج عن المألوف فينتقل الكلام من السّمة الإخبارية إلى السّمة الإنشائية وقد أطلق عليه جاكبسون اسم خيبة الانتظار "[38].

خاتمـــة:

كان للمثاقفة والترجمة دورا محوريا في نقل الدّرس الأسلوبي الغربي إلى الثّقافة العربيّة؛ حيث اتكأ الباحثون والأكاديميون العرب على مؤلّفات أعلام الدّرس الأسلوبي الغربي، ونقلوا معالم هذه التيّارات الحداثيّة ونصوص أعلامها، وكشفوا عن كتاباتهم وتطبيق أدواتها، فحدّد المسدّي بعض مصطلحات الحقل الأسلوبي في اللّسان العربي وأشاعها بين الدّارسين العرب المحدثين، ولعلّ من أهم تلك المصطلحات مصطلح العلم نفسه **(الأسلوبيّة)** و مصطلح **(الإنزياح)**، وقد نقل عن روّاد هذا العلم أمثال شارل بالي، وبيير جييرو، وميشال ريفاتير ، وجورج مونان ودي لوفر، ونقل سعد مصلوح بثقافته الانجليزية عن أعلام غربيين آخرين وترجم عنهم وأوجدَ مصطلحات مخالفة لتلك التي وضعها عبد السلام المسدّي، **كالإنحراف** أو **المفارقة**، والمتغيّر الأسلوبي، والتّشكيل الأسلوبي، والتّشخيص الأسلوبي، كما يُقرّ لحميداني أن كتابه **(أسلوبية الرّواية)** يرتمي ارتماء نسبيا في أحضان النظريّة الغربيّة، باتّكائه على مؤلفات أعلام النّقد الرّوسي أمثال ميخائييل باختين وغيره، وسار على هذا النهج أعلام البحث الأسلوبي بالجزائر أمثال يوسف وغليسي الذي اعتمد خاصّة على أفكار شارل بالي في كتابه (Traité de Stylistique française)،كما فعل ذلك علي ملاّحي في تطبيق هذا المنهج على نماذج شعريّة قديمة وحديثة .

---

(38) علي ملاحي: م س ، ص 138

المراجع باللغة العربية :

– ابن منظور: لسان العرب، مادة(سَلَبَ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ج ، ط3، 2004

– أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتب النهضة المصرية، مصر، ط8، 1991

– أحمد حساني : دراسات في اللسانيات التطبيقية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2014

– حميد لحميداني: أسلوبية الرواية(مدخل نظري)، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989

– سعد مصلوح : في النص الأدبي دراسة اسلوبية إحصائية، عين للدراسات والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1996

– صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998

– محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية

– يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر، الجزائر، ط1، 2007

–ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن الكريم، شرحه ونشره أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1973

–أحمد الهادي رشراش : جهود المسدي في حقل الأسلوبية ، مقال على الموقع: (http://www.arabiclanguageic.org)

–الزمخشري : أساس البلاغة، مادة (سَلَبَ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان

–بيير جيرو: الأسلوبية، ترجمة منذر عيّاشي، دار الحاسوب، حلب، ط2، 1994

–صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998

–عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط5، 2006

–عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق سعد كريم الفقي، دار اليقين ، مصر، ط1، 2001

–علي ملاحي: المجرى الأسلوبي للمدلول الشعري العربي المعاصر، أبحاث للنشر، الجزائر، ط1، 2007

المراجع باللغة الأجنبية:

Mikhail Bakhtine : Esthétique et théorie du roman Galimard